وقفة مع الأديب الإيرانى نادر نظام طهرانى؛ وتحليل شعره

سيد محمّدرضى مصطفوى نيا*
حميد دادفر**

الملخص

يعتبر الأستاذ الأديب الشاعر نادر نظام طهرانى، من الشعراء الإيرانيين الذى ينظم بالعربية، حيث طبع ديوانه مؤخراً، ولاقى استقبالاً واسعاً فى الأوساط الأدبية.

كما تشمل أشعاره شتى المواضيع، ومختلف الأغراض؛ والمتتبع لأشعاره يلمس صبغة العلوم القرآنية، والروائية فيها بشكل واضح، حيث استخدم التلميح، والاقتباس خير استخدام، واستطاع بسموّ شخصيته، وبساطتها أن يصوّر عاطفته الدينية النقية بالاستدلالات القرآنية، والمفاهيم السامية بشكل إبداعى رائع.

ومن ناحية أخرى، فهو شاعر يقدّس الوجود الإنسانى، حيث إن الإنسانية، والتطرّق لمصير البشر فى شعره، يصور نزعته السياسية الهادفة لتكريم الإنسان بما هو إنسان؛ إلا أنه مع ذلك، لم ينأ عن عنصرى الطبيعة، والخيال؛ فالطبيعة فى أشعاره تحتل منزلة خاصة إذ استخدم صورها فى معانٍ كثيرة، خصوصاً عندما تكون استعاراته، وتشبيهاته مستوحاة منها بشكل بديع، يسحر لبّ كل قارئ ذوّاق للشعر.

الكلمات‌الدليلية: نظام، الشعر، التحليل.

*. عضو هيأة التدريس بجامعة قم.
**. عضو هيأة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى دامغان.

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٦/١٢هـ . ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/٩/١٤هـ . ش

المقدمة

يعتبر الأستاذ البروفسير نادر نظام طهرانی، شاعر هذه الأرض الطيبة، أضحى اسمه معهوداً لدى الأدباء، ومحبّی الشعر العربی. وطبع ديوانه مؤخراً بجهود الدكتورة رقية رستم بور، وأثلج صدور طلاب اللغة العربية، وأساتذتها، ونال إعجابهم، وتقديرهم. وبيّن الشاعر فی هذا الديوان، أحاسيسه تارة كفرد واحد، وأخرى كأمّة، ممّا أدّی إلی رقی الأشعار، وخلودها. وتجدر الإشاره هنا إلی كلمة الأديب المشهور إبراهيم الجيلانی عن هذا الشاعر الفذ، حيث قال: «لازلت أذكر نادر نظام الطالب فی السنة النهائية، بكلية الآداب بدمشق سنة ١٩٥٧م. فقد ترک فی ذهنی صوره تختلف عن أترابه الطلاب، فقد كان هادئ الطبع، جمّ التهذيب، رصين الحركات فی جوّ يسوده انفعال الشباب، وحدّته، وحيويته المراهقة، واستهتارها. وتعلو شفتيه ابتسامة، فيها شیء كثير من الاتّزان، والنضج المبكّر. وكانت الدلائل تشير إلی أنه سيكون بعد تخرجه من الجامعة، مدرساً ناجحاً أميناً علی خدمة طلابه، ورعايتهم، وبذل الجهود فی نقل العلم الصحيح إلی أذهانهم، والخلق الكريم إلی نفوسهم، ولم أكن أدری يومئذ أنه يولع بنظم القريض، ويسبح فی الآفاق العليا، وسيهيم علی أجنحه الخيال.» (نظام، ١٩٦١م: ب)

يتناول هذا المقال فی البداية، حياته، وسيرته، ثم يتطرق إلی العلوم القرآنية، والروائية فی شعره، وأخيرا، يحلل واقع العالم، والطبيعة فی شعره.وبادئ ذی بدء وقبل تناول أشعاره، لا بأس أن نلقی نظرة علی حياته، وسيرته، وتآليفه التی أتحفت المكتبة العربية.

لمحة عن حياة الشاعر نادر نظام

ولد الشاعر، الناقد، المترجم، والأديب المعاصر الأستاذ الدكتور نادر نظام طهرانی سنة ١٣١٢ش فی العاصمة السورية دمشق. بدأت مسيرته الدراسية الابتدائية فی هذه المدينة بمدرسة المحسنية، وأكمل المتوسطة، والإعدادية فی ثانوية أسعد عبد الله، حتّی عام ١٣٣٢ش، والتحق بعدها بجامعة دمشق، ليدرس اللغة، والأدب العربی هناک. أمّا دراسته العليا علی مستوی الدكتوراه، فقد أكملها فی جامعة طهران ليحصل سنة ١٣٤٩ش، علی

شهادة الدكتوراه فى اللغة والأدب العربى منها.

جدير بالذكر أنّه جاء إلى إيران، عام ١٣٤٣ش، وبدأ بالتدريس فى كلية الترجمة، وفى عام ١٣٥١ش، وقام بتأسيس فرع اللغة العربية فى هذه الكلية بطلب من المرحوم آريانبور، كما قام بتأسيس فرع اللغة العربية فى المدرسة العليا للغات الأجنبية، بطلب من المرحوم على أصغر حكمت. (رستم پور، ١٣٨٦ش: ١٣)

وأصبح عضواً فى اللجنة التدريسية بدرجة أستاذ معين فى فرع اللغة العربية بجامعة الشهيد تشمران (جندى سابور سابقاً) عام ١٣٥٣ش، كما حصل على درجة أستاذ مساعد عام ١٣٧٥ش، أمّا درجة أستاذ فقد حصل عليها عام ١٣٨١ش.

ولازال أستاذنا الأديب مستمراً فى مسيرته التعليمية فى عدّة منابر للعلم، حيث درّس فى عدّة جامعات، من أبرزها جامعة العلامة الطباطبائى فى طهران، وجامعة القضاء، وجامعة الزهراء، وجامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت، وجامعة آزاد الإسلامية فى مدينة قم، وجامعة آزاد الاسلامية فرع طهران الجنوبية. وحصل أستاذنا الشاعر طوال مسيرته الحافلة، على شهادات تقديرية عديدة، من أبرزها شهادة تقديرية من موسوعة المعارف الحسينية فى لندن، والمركز الثقافى الإيرانى _ السورى، ومختلف الجامعات، والمراكز العلمية.

تولّى الأستاذ رئاسة فرع اللغة العربية، وآدابها فى جامعة الشهيد تشمران منذ عام ١٣٥٦ش، ولغاية عام ١٣٦٢ش؛ كما عُيّن رئيسا لفرع اللغة، والأدب العربى بجامعة القضاء العليا فى مدينة قم، منذ عام ١٣٧٤ش حتّى ١٣٧٦ش. بالإضافة إلى ذلك، حصل الشاعر نظام، على مناصب متعدّدة، داخل المراكز الجامعية، وخارجها، نذكر بعضاً منها: المدير، والمشرف على راديو، وتلفزيون فى خوزستان، منذ ١٣٥٣ش إلى ١٣٥٤ش. (البابطين، ١٩٩٦م، ج٤: ١٦) الإشراف على تنظيم الموسوعة الإسلامية الكبيرة، والعضوية فى لجنتها العلمية عام ١٣٦٦ش، والمشاركة فى إعداد مجموعة المعجم المفهرس للكتب الأربعة، وتنظيم المواضيع العربية فيه، والمستشار العلمى فى مجلة العلوم الإنسانية، وعضوية مجلس الإشراف، والتقييم التعليمى فى جامعة العلامة الطباطبائى، وعضوية

مجلس البحوث التخصصية فی جامعة العلامة الطباطبائی منذ عام ١٣٨٠ إلی ١٣٨٨ش. إضافة إلی ذلک، فهو عضو فی هيأة تحرير مجله البحوث العلمية، التی تصدر عن كلية الآداب، والعلوم الإنسانية فی جامعة طهران، وعضو فی هيأة تحرير مجلة اللغة العربية وآدابها، ورئيس تحرير مجلة الأدب المقارن، بجامعة آزاد الإسلامية فی مدينة جيرفت.

هذا وقد ساهم الأستاذ فی تأسيس فرع اللغة العربية، وآدابها، علی مستوی الماجستير فی جامعة قم، كما تطمح جامعة آزاد الإسلامية فی مدينة جيرفت، إلی تأسيس فرع الأدب المقارن، علی مستوی الدكتوراه بجهوده المتواصلة. ومن ناحيه أخری، أشرف الأستاذ علی تدوين أكثر من مائة رسالة جامعية، كما قام بتقييم عدة أطروحات فی الدكتوراه.

أمّا الشعر فهو مصدر إلهام هذه الشخصية، وإبداعه، وشهرته المرموقة، فقد كانت له اليد الطولی فی نظمه، وإنشاده، حيث كانت أغراضه متنوّعه. وتمّت طباعة أشعاره فی المصادر، والصحف المحلية، والأجنبية. كذلک قد ترجم ثلثی المجلدات الثلاثه الأولی من موسوعة المعارف الإسلامية الكبری برمز (ن . ن)، وترجم الكثير من المقالات لمجلة العلوم الإنسانية، وكان له الدور الفعّال فی ترجمة خطابات الإمام الخمينی (ره) باللغة العربية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

شخصية أستاذنا الشاعر الأخلاقية والعلمية

الأستاذ الدكتور نظام ذو شخصية قوية، محترمة، فهو حسن الخلق جزيل البيان، ويصفه الجميع بأنه ذو قلب عطوف، وصدر واسع بسعة البحر. ونظراته نافذة، وصوته جهوری، ومزاحه محبّب.

وكاتب هذه السطورخلال دراسته الجامعية ـ منذ عقد السبعينيات ـ وإلی اليوم، لم يره يغضب قط، فهو هادئ، وحليم، صابر، وراسخ فی مواقفه كالجبل، ويشهد له جميع الطلاب بأنه أبٌ رؤوف، وأستاذ عطوف، يتمنی الخير للجميع. واهتمامه بزيه، وآدابه

الحميدة، وحضوره المنظم فى الصف، أصبح أمرا مألوفا بين الجميع إلى درجة لم يره أحد لحد الآن، تغيرت أناقته، أو أهمل درسه. ويمكن القول بشكل عام بأنه أستاذ أنيق، ومنظم فى ظاهره، وباطنه.

ومن أهم خصائصه التى تجدر الإشاره إليها، تواضعه الذى يشهد به القاصى والدانى، وكذلک تفسيره لأشعار كبار الشعراء العرب، حيث إنه يوضح أكثر الأبيات تعقيدا، ببيان سلس، وجميل، وينقدها نقداً منطقياً لا نظير له، يسحر السامع بكلماته العذبة الفصيحة. فهو لا يفرّق فى تدريسه بين مستوى الدارسين، سواء مستوى الدكتوراه أو البكالوريوس، فبيانه، وأخلاقه، وصبره، وحلمه، وسعة صدره صفة ملازمة له أينما حلّ ونزل. فهو أستاذ محترف بكل معنى الكلمة، وعندما يدرّس يشدّ السامع نحوه ولا يشعر أحد بالكلل، أو الملل من درسه، ويغوص فى غمار بحر علمه الواسع.

ومن خصائص أستاذنا العزيز الأخرى، روح الشباب، والنشاط اللذان يتجلّيان عندما يقف من أول الدرس إلى آخره، ولا يجلس لحظة واحدة، وحركاته المستمرة تلفت الأنظار، ولا يمكن للذهن أن يشرد فى درسه لجذابيته، فيسقى الطالب من عبق علمه، وخلقه، وحركاته روح الأمل والنشاط.

أمّا ذاكرته، فهى قوية نافذة، حيث يوضح أدقّ المسائل التاريخية، والشعرية عن ظهر قلب يسحر من خلاله نفوس الحاضرين. وكذلک فإنّه سريع البديهة عاجل التبادر، إذ يجيب على أى سؤال بلا تردد، أو تأنٍّ، ويستدل بأنسب الاستشهادات، وأكملها.

ويرى الكثيرين، أن هذا الفحل العلم، قد جمع مختلف العلوم الأدبية، وتربع على عرش قمة الشعر مع الصف الأول من الشعراء العرب؛ وبلاغته سمت سمو علوم السكاكى، والتفتازانى لدرجة أنه عندما يوضح آرائهم، كأنما السكاكى أو التفتازانى يتحدث للسامعين؛ وتدريسه لشتى أنواع العلوم الأدبية العربية لا نظير له، فهو نحوى، وصرفى، وأديب، وناقد، ومؤرخ، وملمّ بكافة جوانب اللغة بكل معنى الكلمة، وقد أعانه على ذلک كونه متكلم لامع، وفصيح فصاحة عرب الأزمنه الخوالى.

وبشكل عام، فهو شاعر من الطراز الأول، ومتّقد القريحة، يهبّ شعره كالنسيم العليل

فينعش الجسد، ويبهر الروح بعذوبته، ولطافته. وهو ناقد دقيق يجذب الذهن، لآرائه ببحوثه المتكاملة الذكية التى تكون حجّة، وعبرة. وهو مترجم بارع، ينطبق عليه لقب شيخ المترجمين لرصانة تعابيره، وتطابقها.

وأقيم احتفال بهيج فى جامعة قم عام ١٣٨٧ش لتكريمه، وتقدير جهوده الجبارة فى خدمة العلم، واللغة العربية، حيث قام أساتذة الجامعة بمدحه، وتقدير شخصيته الفذّة عن طريق خطابات، وأشعار صورت حبهم له، كما أقيمت حفلة أخرى لتكريمه بجامعة العلامة الطباطبايى عام ١٣٨٢ش تقديرا له ولجهوده العلمية، والتعليمية.

أبرز مؤلفاته

١ـ نصوص من النظم والنثر فى العصر الجاهلى، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٧٢ش.

٢ـ العروض العربى، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٧٠ش.

٣ـ العروض العربى وتطوره، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى.

٤ـ نصوص من النظم والنثر فى العصر الحديث، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٧١ش.

٥ـ نصوص من النظم والنثر منذ صدر الإسلام حتى سقوط بغداد، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٧٨ش.

٦ـ نصوص من النظم والنثر فى عصر الانحطاط، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٧٩ش.

٧ـ تأريخ الأدب فى عصر الانحطاط، منشورات فرهيخته، ١٣٨٠ش.

٨ـ المختصر فى تأريخ الأدب الفارسى، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى، ١٣٨٣ش.

٩ـ النقد عرض وتحليل، منشورات كلية الآداب فى جامعة العلامة الطباطبائى.

١٠ـ اللحن الخالد (ديوان شعرى)، مطبعة كرم، دمشق، ١٩٦٢م.

١١ـ نفحات شعرية (ديوان شعر)، منشورات فرهنک منهاج.

١٢ـ قاموس نادر (أربعة مجلدات)، فارسى ـ عربى، منشورات جامعة العلامة الطباطبائى.

أبرز مقالاته

١ـ مرور ورأى على ترجمة الأغانى، فصلية الترجمة، شتاء ١٣٦٥ش، الجهاد الجامعى فى جامعة العلامة الطباطبائى.

٢ـ ابن الفارض والخمرة الروحية، مجلة العلوم الإنسانية (وزارة التعليم العالى)، الأعداد ١و٢، ١٣٧٠ش.

٣ـ الشيخ طاهر الجزائرى، لغة وأدب، فصلية كلية الأدب الفارسى واللغات الأجنبية فى جامعة العلامة الطباطبائى، السنة الأولى، العدد١، ربيع ١٣٧٥ش.

٤ـ البحث فى الإسلام والطالب الجامعى، لغة وأدب، السنة الثانية، العدد٥، ربيع ١٣٧٧ش.

٥ـ نقد قصير لـ «ديوان العشق» صلاح الصاوى، لغة وأدب، السنة الثانية، العدد٦، شتاء ١٣٧٧ش.

٦ـ قضية فلسطين قضية المسلمين، مجموعة مقالات وجلسات فى تحليل احتلال فلسطين، جامعة العلامة الطباطبائى، طهران، ١٣٧٩ش.

٧ـ روّاد غزل المجون القصصى فى الشعر العربى، مجلة البحوث العلمية بكلية الآداب، جامعة طهران، العدد ١٥٥، الدورة ٣، خريف ١٣٧٩ش.

٨ـ مقدمة ديوان «أغصان الزيتون» لصلاح الدين زواوى، مؤسسة نشر وطباعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى، ١٣٧٩ش.

٩ـ اللغة العربية وظاهرة السجع فى الجاهلية والإسلام، منشور خاص بكلية اللغات الأجنبية فى جامعة تربيت معلم، السنة التاسعة، العدد ٣٣، شتاء ١٣٨٠ش.

١٠ـ القديم والجديد فى الشعر وقدرته على التوصيل، اللغة العربية وآدابها، جامعة

فردیس فرع جامعة طهران بقم، السنة الأولی، العدد الأول، ۲۰۰۵م.

۱۱ـ تأریخ الأدب الفارسی، الموسوعة الأدبیة بدمشق، ۱۹۹۶م.

۱۲ـ الشعر العربی أسیر مشاکل العالم العربی، حوار مع جریدة إیران، العدد ۸۲۸، السنة الثالثة.

یذکر أنّ الأستاذ نادر نظام له ولدان، هما سامر متخصص فی مجال الحاسوب، وسامع یحمل شهادة الماجستیر فی قسم الإداره والاقتصاد. (جامعة آزاد الإسلامیة، ۱۳۸۷ش: ۲۵۱- ۲۵۲)

أشعاره

أیّ قارئ یتصفح دیوان هذا الشاعر الکبیر، فإنه دون شک سوف یدرک أنه قد أنشد شعراً فی مختلف الأغراض الشعریة، لذلک نجد دیوانه یتناول مواضیع متنوعّة مثل: المدیح، والرثاء، والوصف، والحکمة، وما إلی ذلک من أغراض شعریة. کذلک نلاحظ تأثیر القرآن، والدین، والبیئة التی یعیش فیها علی قصائده. وفی الواقع یمکن القول إن نظام شاعر قد استنشق عبق علوم الدین، وروعة الأدب من بیئته.

نشیر هنا إلی بعض مضامین نظام الشعریة:

أولاً، العلوم القرآنیة، والروائیة:

نلاحظ جذور العلوم القرآنیة بشکل واضح فی القالب العام لشعره، من خلال عباراته، وکلماته التی تدل علی ذلک، وهذه قشرة ظاهریة للتناسق الموجود بین شعره، والعلوم القرآنیة حیث إنه قد اجتنب الإطالة، وراعی الإیجاز، وترک الباقی للقارئ الذوّاق کی یستنبط المعنی المراد من المعانی القرآنیة، والعلوم الدینیة، ویمکن حصر ذلک فی نقاط:

۱ـ الترغیب علی الوحدة، والتمسک بحبل الهت:

الشاعر فی قصیدته «قضیة فلسطین، قضیة المسلمین» یدعو الأمم لرصّ الصفوف، والاتحاد لأنها طریق النصر الوحید، إن أرادوا ذلک، فیقول:

يا سادتى يا أمّتى عودوا إلى واستيقضوا ودعوا التخاذل والخنا
مستعصمين بحبل الله حولهم حبل الإله ودافعوا بالمنكب
فالفجر يشرق من عيون الغيهب أبناء شعب كريم الأصل والشيم

(نظام، ١٣٨٦ش: ٣٠)

أشار الشاعر هنا إلى الآية الشريفة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا﴾ [آل عمران: ٣]

٢ـ الاعتقاد بعصمة أهل بيت الرسول (ص):

نلاحظ الإشاره إلى الآية المباركة: ﴿انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٢]

وأهل بيتک بيت الطهر جاريةٌ عيونهن يرين الحق كفرانا

(المصدر نفسه: ٣٣)

٣ـ خسارة الدنيا والآخرة:

كذلک نلاحظ الإشارة إلى الآية المباركة: ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج: ٢٢]

خسرت دنياک والعقبى وما ظفرت كفّاک إلا بما يكفيک خسرانا

(المصدر نفسه: ٣٤)

٤ـ تعليم الأسماء كلها لآدم:

أيضاً نلاحظ الإشاره إلى الآية المباركة: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ [البقره:٢٢]

يا إلهى علّمت آدم أسما ءک طرّاً، فما تركت لعذر

(المصدر نفسه: ٤٠)

٥ـ الحق لا بدّ أن يؤخذ:

أشار شاعرنا إلى هذا المفهوم من خلال الاستناد على حديث للإمام على (ع): «لنا حقّ، فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى.» (دشتى، ١٣٨٣ش: ٤٤٦)

فالحقّ یؤخذ عنوة لا یرتجی والمرء یحظی من مناه ما اعتزم

(المصدر نفسه: ۲۷)

۶ـ الشرّ یکمن فی التفرّق والتشتّت:

وقد أشار إلی هذا المعنی استناداً للحدیث المنقول عن الرسول الأکرم (ص): «الجماعة خیرٌ، والفرقة عذاب.» (پاینده، لاتا: ۲۴۱)

یا مسلمون توحّدوا فالشرّ کل الشرّ یکمن فی شتات المأرب

(المصدر نفسه: ۲۸)

۷ـ الإسلام فوق کل شیء:

وأشار أیضاً إلی قول الرسول الکریم (ص) بهذا الشأن: «الإسلام یعلو، ولا یعلی علیه.» (پاینده، لاتا: ۲۱۳)

والموت خیر من حیاة مذلّة وسفینة الإسلام أفضل مرکب

(المصدر نفسه: ۳۰)

۸ـ أتباع ولایة أمیر المؤمنین (ع):

حدیث الولایة المعروف الذی روی عن رسول الله (ص): «قال رسول الله(ص): یا أیها الناس من أولی الناس بالمؤمنین من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنّ الله مولای، وأنا مولی المؤمنین، وأنا أولی بهم من أنفسهم، فمن کنت مولاه فعلیّ مولاه... قالها ثلاث مرات.» (سجادی، ۱۳۶۸ش: ۴۹۱)

فالولایة لأهل البیت کذلک قد کان لها مکان فی شعره، حیث أبرز الشاعر ذلک فی شتی المواضیع. فهو فی قصیدة «صدق الوعد» التی هی فی مدح الرسول (ص) وأهل بیته علیهم السلام، یقول:

لیس بعد الرسول غیر علی سیف حقّ یصونه الرحمن

ویخاطب الإمام علی (ع) فی بیت آخر، فیقول:

یا شهید المحراب حبک حق لنفوس رواؤها الغفران

.....

يا أميراً للمؤمنين اصطفاه سيد الخلق وارتعناه الزمان
أنت حبّ من الإله حبيب وجنان يحوطها رضوان
كيف ينسى يوم الغدير رجال قطعوا العهد للرسول ودانو
أين «لبيک» يا رجال طواها طمع تستشيره الأضغان

(نظام، ۱۳۶۸ش: ۶۴)

فالشاعر المبدع نادر نظام، قد استطاع أن يستند فى أشعاره إلى علوم القرآن، والأحاديث بشكل صحيح عن طريق التلميح، والاقتباس، ويلقيه فى ذهن المخاطب، وفى سمعه بحيث يخوض فى غماره، ويدرک معانيه. ففى هذا المجال، يعتبر نادر نظام شاعراً صادقاً، وبسيط الجانب لأن أشعاره تنبع من عاطفه دينية صادقة، ونقية يمكن لمسها بلا تكلّف أو تعب. واستدلالاته فى هذا المضمار، هى استدلالات بسيطة واضحة، كما قال:

الناس حولى كالقطيع وإن بدا لى منهم ذئبٌ وكشّر أحمق
يلقون فى وهم الحياة وجودهم وعلى عيونهم حجابٌ أزرق

(المصدر نفسه: ۱۳۳)

ثانياً، واقع العالم:

يبرز الشعراء ردود فعل مختلفة بالنسبة لواقع العالم الخارجى، والمجتمعات الأخرى، فأكثرهم يناورون فى واقع العالم الخارج عن بيئتهم، ويرفضون مبادئه حيث إنّهم يعترضون على ما هو موجود على أرض الواقع، ويقرّعونه من السداد، والصحة، وليست هذه المناورة إلا انتفاضة لتبديل الواقع، وإنشاء مجتمع، وعالم مثاليين جديدين، وأحياناً يكون سخطهم ناشئا عن التمرّد على الواقع الذى لايؤمن بأىّ مبدأ.

وبعض الشعراء، تختلف أفكارهم عمّا ذكر، فإنهم يسايرون واقع العالم، والمجتمعات الأخرى، ويمجّدون الواقع الموجود عن طريق أشعار تصور رضاهم فى جميع الأحوال.

وهناک شعراء آخرون يختلفون تماماً عن هذين الفريقين، فهم لايسايرون واقع

العالم، والمجتمعات الأخرى، وفی نفس الوقت لایقرّعونه من السداد، والصحة بشکل کامل؛ فهم یترکون العالم لحاله، ویعیشون لحالهم، وقضایاهم، فهؤلاء الشعراء یتماشون مع مجریات العالم برفق.

کما یوجد جمع آخر کذلک، یسایرون العالم، ویتأمّلون فی واقعه ومجریاته، فإن کان هذا الواقع لا یخالف مبادئهم ومعتقداتهم، فهم یرضون به ویمدحونه؛ ولکن إذا ما خالف توجّهاتهم، وآرائهم المبتنیة علی العدل، وحقوق الإنسان، فسوف ینالون منه، وینکرون علیه. وشاعرنا هذا، یعتبر من فریق الشعراء الملتزمین بالمبادئ الإنسانیة السامیة.

۱ـ قضیه فلسطین:

فالشاعر نادر نظام، کأیّ مسلم آخر، یؤرّقه ما حل بفلسطین، باعتبارها مصیبة القرن العشرین، ولا یسکت عمّا وقع من ظلم، واضطهاد فی هذا البلد المسلم، وهو لیس کعبید الدینار، والدرهم من بعض العرب الذین لاهمَّ لهم سوی بطونهم، وفروجهم، ویکتفون بالغزل، ووصف النساء والنعیم. فهو قد علا صوته استنکاراً لهذه الوقائع المرة واحتجاجاً علی الجور، والسلب، والنهب، ونادی کمصلح، ومناضل، وسیاسی لا یهمّه سوی المبدأ، والقضیة.

فهو لا یری أن قضیة فلسطین قضیة عربیة، بل یعتبرها قضیة دینیة، ویدعو مخاطبیه إلی التوحّد، ورصّ الصفوف. فیعلن اعتراضه علی تلک البلدان التی تعتبر هذه القضیة کسائر القضایا الجغرافیّة المحدودة بمنطقة الشرق الأوسط، ویجیب علی الذین یعتبرونها کقضیة عربیة محضة، ولا یرغبون بتدخل إیران فیها، قائلاً:

لیست قضیتنا قضیة یعرب　　لیست قضیتنا قضیة أجنبی
إنّ القضیة سادتی أدهی وأعـ　　ـظم من شعار فی مسیرة موکب
یا مسلمون توحّدوا فالشرّ کل　　ـل الشرّ یکمن فی شتات المأرب

وفی مقطع آخر من هذه القصیدة، یدعو أغبیاء السیاسة، والمتشددین من العرب إلی الاستیقاظ من الغفلة، ویحذرهم من لعبة السیاسة القذرة، وینصحهم بأن یلعبوا لعبة الثورة، التی هی أفضل لعبة، ألا وهی ثورة الحجارة التی تنطلق من أیدی الأطفال فی

انتفاضتهم العارمة؛ فيحفّزهم على النهوض فى الواقع عن طريق تطبيق، وقياس للواقع الموجود، ويقول لهم كونوا كالأسود وخذوا الحق:

ودعوا ألاعيب السياسة جانباً فحجارة الأطفال أفضل ملعب
كونوا أسوداً إن أردتم حقّكم فالحقّ لا يعطى بمكر الثعلب

(المصدر نفسه، ص٢٩)

ويشير فى مكان آخر إلى طمع الصهاينة، ويدعو الغافلين من العرب للصحوة من غفلتهم:

هل يرتضى صهيون بالقدس التى غصبت يداه، وهل يقرّ بمكسب
صهيون يطلب أن يعود لخيبر يا لوعة الإسلام من ذا المطلب

وفى بيت آخر يصف مكر الصهاينة، ونفاقهم:

يتقلّبون تقلب الأفعى على حرّ الرمال ويلدغون كعقرب

(المصدر نفسه: ٢٩)

فكل قارئ يطّلع على شعر نادر نظام بخصوص قضية فلسطين، يتبادر إلى ذهنه كون هذا الشاعر قائداً سياسياً محنّكاً، يصوّر الأحداث ويذكر الحقائق. لذلك ليس اعتباطياً أنّ الشاعر هو لسان الأمّة.

فشعره لايؤيّد ما ذهب إليه الشعراء غير الملتزمين الذين سبقوه، فيكون هذا الشعر عبارة عن قاعدة سياسية، فهو أعطى آراء تختلف عمّا يجول فى بال البعض. فهو يعتبر نفسه مدافعاً عن مصير المظلومين، والمشرّدين فى العالم، وعلى رأسهم الشعب الفلسطينى الذى اغتصبت أراضيه، لذلك إذا ما اعتبرنا تقديره للبشر، ودفاعه عن مصيرهم بأشعاره، فإن هذا النوع من الشعر يكون سياسياً. وبشكل عام فإن شعر نظام ملىء بالميول الإنسانية، واحترام الكائن البشرى، فيشتمل كل المبادئ السامية، لأنه شاعر مهتم بالمبادئ الإنسانية.

٢ـ مصر:

فى الوقت الذى أراد فيه المصريون أن يحمّلوا أفكارهم، ويفرضوا قيادتهم على

الشعوب العربية، واستطاعوا إلى حدٍّ ما عن طريق سيطرة جمال عبد الناصر أن ينشروا سلطتهم على بعض البلدان، لكنهم تعاملوا هذه البلدان بتكبر، وغرور، ولم يحترموا أفكارهم، وكان هذا الأمر وازعاً لأن ينتقده شاعرنا بنظرته الحادّة، فصاغه فی قصيدته «تيقّظوا».

يقوم الشاعر فی هذه القصيدة بالنصيحة، والتنبيه بأسلوب خلوق، وملائم، ويطلب من المصريين أن ينتبهوا لسياستهم الخاطئة بكل احترام وأدب، فهو خاطب المصريين، ودعاهم للنهوض من نومة الغافلين، فقال:

أبناء مصر تيقّظوا واسترجعوا أمجادكم

فبعد حسن الابتداء الذی استهلّه بالنداء، والخطاب المحترم، طلب منهم فی البيت الثانی أن يتركوا الجهل، والتعصّب الأعمى:

ودعوا الجهالة والتعّـ ـصّب لم يكن من شأنكم

(المصدر نفسه: ۱۷۶)

وفی البيتين التاليين يستند إلى الدليل، والحجة:

فالمسلمون مرامهم أن تدركوا إخوانكم
ضعف الثقافة سبّة كم قوّضت أركانكم

(المصدر نفسه: ۱۷۶)

ثم يشير إلى فشل سياستهم فی بعض البلدان التی أرادوا أن يفرضوا أفكارهم عليها:

أوَ ما كفاكم ما جرى فی الشام من فشلٍ لكم؟
فإذا نسيتم فاسألوا السودان ما أورى بكم
وكذلک اليمن السعيـ ـد وغيره ما نابكم

(المصدر نفسه: ۱۷۶)

فالشاعر يعتقد أنّ العلة الأساسية فی تخلّف البلدان العربية، والإسلامية هو الجهل، وكذلک يشير إلى الغرور، والتكبر الذی نشاهده اليوم يطغى على ساسة العرب:

ودعوا الغرور وأيقنوا أنّ الجميع كمثلكم
واستيقظوا أنّ الجها لة سرّ كلّ بلائكم

(المصدر نفسه: ١٧٦)

كذلک فإن شاعرنا له اطلاع كامل على الآداب العالمية المعاصرة، وقد التحق بركب نقّاد هذا الأدب، حيث إنّه مال إلى مذهب الوعظ، والإرشاد، ومراعاة الخلق الحميدة. ويبدو أن الخوض فى مضامين ومعانى الخلق الحسنة والمبادئ الإنسانية قد أصبح خارجاً عن نطاق مضامين الشعراء المعاصرين، وبالأخص الأدب الإنجليزى، والأمريكى بعد عصر النهضة، والحداثة عام ١٩٢٠م وألقى هذا الأمر على عاتق الساسة، وعلماء الاجتماع، ووعّاظ الدين.

٣ـ الحرب المفروضة:

وضّح نادر نظام عقيدته فى الحرب المفروضة فى قصيدته «أرض الخلود»، ودافع فيها عن الصلح فى إيران، وتطرّق لسياسات الحكومات العربية كذلک، فقال فى البيت الأول:

أرض الخلود ومعقل الإسلام إيران يا علماً لكلّ سلام

بعد ذلک اعتبر الحكّام الإيرانيين كأفضل مسؤولين:

جاءتک من خير الوفود جحافل تسعى إليک ففيک خير مقام
ترنوا إلى الشهادة والورى يرعى خطاک بآية الإعظام

فهو فى هذه القصيدة يذكر جبن حكّام العرب، وخنوعهم، قائلا:

وعلى ربى قدسٍ أقيمت دولة الظلم أسسها على الآثام
وغدت ربى لبنانٍ ملعب حفنةٍ ألقت بغاربها إلى الأزنام
فى كل أرض بوركت، صنمٌ ثوى وعبيد دينارٍ وجرو عظام
فهناک فى بلد توارت اُمة بليت بشرّ خيانة الحكّام

(المصدرنفسه: ١١٢)

فتصويره للحكام الجبناء العرب الذين هم عبيد البطن، والشهوة، يدخل فى نفس

القارئ بتصویره الرائع الذی یسحره، ویجذبه بصوره الشعریة الرائعة التی هی غایة فی الروعة، والجمال وهذه دلالة علی أنّ أشعاره التی خرجت من فمه، إنّما هی نابعة من قلبه، ولیست مجرد قلقلة لسان، أو کلام فارغ. فهو قد استطاع أن یصوّر واقع هؤلاء الحکّام الأراذل، وینصحهم بالنهوض من سباتهم العمیق، فقال:

یتفاخرون بکل مجد عروبة وهم العبید وموطئ الأقدام
یتدافعون إلی المذلّة مثلما یهوی العلیل ببؤرة الأسقام
صهیون یسرح فی مرابع أرضهم وهم علی الربوات کالأنعام

(المصدر نفسه: ۱۷۶)

والشاعر نادر نظام عندما یضیق ذرعاً بسیاسات هؤلاء الحکام المنبوذین، یلتجئ إلی عبارة «الله أکبر» التی هی عبارة توقظ ضمیر کل مسلم غیور. فحیث إن الضغط النفسی، والألم الذی ینتابه یزداد، ینفجر کالبرکان، ویفیض کالسیل الهادر:

الله أکبر یا روابی العرب هُبـ ـی واطرحی ذا العار والإظلام
لیست بلاد العرب غیر مسارح وملاعب للسرک والأقزام

(المصدر نفسه: ۱۱۳)

وفی الختام، فإنه یمتدح المقاتلین الإیرانیین بأبیات، جاء فیها:

أبناء فارس انتم أسد الوغی ومناهلٌ للموت جِدّ زؤام
خطّ الحسین لکم طریقاً للعُلا فنهجتموه بساعدٍ حرّام
أنتم حماة الدین فی ساح الرّدی ورجال حربٍ للعداة قتام

(المصدر نفسه: ۱۱۳)

ثالثاً، الطبیعة:

إنّ جمیع المدارس الفنیة، والأدبیة لا بدّ أن تتأثّر بصورة مباشرة أو غیر مباشرة بالطبیعة، وإذا ما کان الشعر ناشئاً عن التقلید المحض للطبیعة، فإن المدارس الطبیعیة الحدیثة تعکس الطبیعة، وآثارها بأشکال مختلفة، ومن ضمنهم أصحاب المدرسة الرومنطیقیة حیث إنهم یلجأون إلی الطبیعة حسب أفکار روسو، فنلاحظ إلهامها،

وانعكاسها فى نتاجاتهم بشكل جلى، إذ يقول بودلر: «تصلنا الكلمات مشتّتة من معبد الطبيعة، حيث يسمعها الشاعر، ويصوغها لنا كيفما شاء.» (هنرمندى، ١٣٣٦ش: ٧٠)

أمّا نظام، فهو بين شعراء الطبيعة المعاصرين، تحتل الطبيعة منزلة خاصة فى شعره. يصوغ لنا لسانه فى هذا المضمار ماء عذباً نابعا من ينبوع الطبيعة المتدفّق التى تأثر منها، وقدّسها ببساطة شعره، وسلاسته. فتقديس الطبيعة هذا ناشئ من روحه البسيطة، وصفاء ذهنه ونقاوة باطنه، ولايجب علينا أن ننسى أنّ الروح الإنسانية تحتاج إلى جمال الطبيعة من أجل إحياء فطرتها السليمة، فالجمال الذى تدركه الروح يكون جلياً من خلال الطبيعة، فتكون الكلمات هى السبيل للشاعر كى يعبّر عن هذا الجمال الروحى. ومن خلال مطالعة أشعاره، يتضح لنا أن الطبيعة فى شعره لها ميزات عديدة، ومتنوعة، وأحياناً نراه يبتدع استعارات، وتشبيهات رائعة من مصاديق الطبيعة، نشير هنا إلى بعض منها:

١ـ الفراشة:

العيون الخضراء تحمل ألف جناح فراشه　　يا فراشات الرّبى كم ذا سلبنا الزهر عطره

(نظام، ١٣٨٦ش: ١٥٠)

وهمنا كالفراش ترفّ سعياً　　وترشف من لمى الدوح العذابا

(المصدرنفسه: ١٥٨)

٢ـ الورد:

يا وردتى يا نفحه الـ　　أسحار فى هذى الدنيّه

(المصدر نفسه: ١٩١)

وعلى دروب الطيف　　ننثر ورودَ الرجاء

(المصدر نفسه: ١٩٥)

والنور يعطر ظلّه　　بين الندى والياسمين

(المصدر نفسه: ٢٠٢)

وحملتُ فى قلبى طيو　　فاً بالأزاهر مقمره

(المصدر نفسه: ٥٧)

وحکایا کالأمانی من عطور الیاسمین

(المصدر نفسه: ۶۱)

یا صفو أیامٍ مزجـــ ـت رحیقها بشذا الورود

(المصدر نفسه: ۸۵)

من ملتقی سعدی تموج عوالم وتضوع من سحر البیان ورود

(المصدر نفسه: ۱۰۰)

فبین رواقص الأزهار نحیا حیاة ملؤها دنیا الحقیقه

(المصدر نفسه: ۱۶۶)

۳ـ الجبل، والربوة:

لیت الریاح تحملنی إلی ذلک الغار

فی أعلی «دماوند» لأذرف الدموع وحدی

(المصدر نفسه: ۱۹۶)

ونترک شرها یمضی بحالٍ بعیدٍ عن ربانا المستضیفه

(المصدر نفسه: ۱۶۶)

کلّما نال من رُباها عدوّ نهضت بالشهید إثر الشهید

(المصدر نفسه: ۱۶۲)

فعلی کلّ ربوَة صوت حرّ مارِدٍ قد صبا لقرع الحدید

(المصدر نفسه: ۱۶۳)

أفق فالنور شعشع فی الروابی وأشرق وجه عمّال الحقول

(المصدر نفسه: ۱۶۵)

وطنی علی ذرّات رملک تلتقی شیَم العلاء

وبکل أفق من رباک ترفّ أحلام الصفاء

(المصدر نفسه: ۱۶۰)

کم ذا جنیت زهور الیاسمین بها وجبت ربوتها فی حورها الغید

(المصدر نفسه: ۱۹۰)

٤ـ الحديقة، والروضة:

أطّوف بين الرياض الغارقة بالندى

(المصدر نفسه: ١٩٥)

إليک أحمل آيات السلام ومن يجفو رياضک لم يولد ولم يلد

(المصدر نفسه: ١٩٠)

فبكلّ روض لى طيوف حلوة تهفو لعين الحالم الغادى

(المصدر نفسه: ١٥٤)

أملأ الدنيا غناءاً وأرى فيها خليله واُحيى مبسم الروض بقبلاتى الطويله

(المصدر نفسه: ١٥٠)

أمسيتُ وسط الروض قاطف شوكه ألقى الورود ولا أرى من يعجب

(المصدر نفسه: ١٠٣)

ويذكر الودّ حين الودّ جمعنا بين الرياض ورمش العين يشعله

(المصدر نفسه: ٦٦)

٥ـ الشمس، والقمر:

أوما أقول الظلّ بدرٍ مظلمٍ لم تنثرى من شمس حسنک نوره

(المصدر نفسه: ٢٣٦)

ونسجنا من سنا البدر شراعاً لم يجد فى شاطئ العشق سوانا

(المصدر نفسه: ٢١٠)

فإلى المنى ..... نمضى لفجرٍ مشرق

(المصدر نفسه: ٢٠٥)

إن كان وجهک كالبد ر فقد عرفتک يا سمَر

(المصدر نفسه: ١٨٧)

وتنسج من شعاع الشمس حُلى لتصدح فى حناياه العنادل

(المصدر نفسه: ١٦٦)

أرض النعـاج سئمـتها، وسئمـت أصـوات النفيـق

فإلى السماء إلى العلا نحو الذرى أبغى الطريق

(المصدر نفسه: ١٦١)

فلدى مغيب الشمس أمضى نحو ثغـ ـــر الأرجـوان كـتائهٍ صـاد

(المصدر نفسه: ١٥٥)

ويحسب نور شمس المجد خُلداً فإن دانته أصلته الحميا

(المصدر نفسه: ١٤٨)

الدقة، والغور فی الطبيعة نلاحظها فی أشعار نادر نظام تقرّ بهذه المسألة، وهی إنّ السماء، والشمس، والنجوم، والعطر، والورد، والفراشه، والبر، والليل، وقطر الندی، والمرتفعات، وأغصان الأشجار، وما إلى ذلک، مصاديق للطبيعة نستنتج منها ميوله الطبيعية، وتقديسه لها. فشعر نظام فی وصف الطبيعة ناشئ عن لسان بسيط ذو جمال ذاتی وبلا تكلّف، وربما يعود ذلک لثرائه بالمعانی السامية، ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ عناصر الطبيعة التی تتجلی فی شعره، تكون منسجمة، ومتلائمة، ومن جانب آخر تطبيقها علی مجريات الحياة، وتصويره لها يعتبر من خصوصيات هذا الشعر البارزة؛ وفی الحقيقة إن سرّ خلود الشعر يكمن فی هذا المنوال، أضف إلى ذلک فإنّ نظام يصوّر ذاته فی أشعاره، ويتنفس من خلالها عبق الحياة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

النتيجة

والمتأمل فی شعر نادر نظام يجد أن من مصاديق الطبيعة فی شعره هی: الورد، والفراشة، والليل، والشمس، والأشجار، وما إلى ذلک، والجدير بالذكر أنها ناشئ عن لسان ذی جمال ذاتی دون تكلف.

وقد استطاع شاعرنا أن يستند فی أشعاره إلى القرآن، والأحاديث بشكل صحيح عن طريق التلميح، والاقتباس فيمكن لنا أن نحكم بأنها تنبع عن عاطفه دينية نقية.

ويتبين من خلال دراسة شعره فی مجال السياسة، أنه يساير العالم، ويتأمل بواقعه،

وحوادثه، وهو أن كان هذا الواقع خالف توجهاته، وآرائه المبنية على العدل، وحقوق الإنسان فسوف ينال منه، وينكر عليه فهو ملتزم بالمبادئ الإنسانية السامية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
الإدارة العامة لوثائق وشهادات جامعة آزاد الإسلامية. ١٣٨٧ش. أربعون أستاذاً. إيران.
البابطين، ١٩٩٦م، معجم البابطين، الكويت.
بايندە، أبوالقاسم. لاتا. نهج الفصاحة. إيران. منشورات جاويدان.
الدشتی، محمد. ١٣٨٣ش. نهج البلاغة. منشورات سبط النبی. إيران.
رستم‌بور، رقية. ١٣٨٦ش. نفحات شعرية. منشورات فرهنک منهاج. طهران.
سجادی، سيدإبراهيم. ١٣٦٨ش. على مرآة الحق. تبريز.
نظام، نادر. ١٩٦١م. اللحن الخالد. المقدمة. دمشق. مطبعة كرم.
هنرمندی، حسن. ١٣٣٦ش. از رومانتيسم تا رئاليسم. طهران.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی